Arab Journal of Sciences and Research Publishing
Volume (6), Issue (1) : 30 Mar 2020
P: 86 - 96
ISSN: 2518-5780
مجلة العربية للعلوم ونشـر الأبحـاث
المجلد (6)، العدد (1) : 30 مارس 2020 م
ص: 86 - 96

# Features of communicative in Arabic grammar

**Sefaa Ali Al-maqabelah**

**Abstract:** This research links between Arabic grammar and communicative linguistics, then it deals with models of Arabic grammar to show the features of communication in its modern concept with (Roman Jacobson), and the extent of its influence on grammatical thinking among Arabs, so the research shows the impact of the elements of communication (sender, receiver, linguistic message, and reference And Sunnah (code and coding) in producing grammatical and grammatical rulings at one time, and in substituting verbal linguistic performances - through coding, coding, and reference represented in context - at other times, the research highlights the importance of each component of communication in building speech in the Arabic grammar, The effect of that The element in the grammatical opinions that they relied upon when retiring the language, and if they did not present it in independent or ad hoc studies at that time, the research discussed models of grammatical evidence, according to the descriptive analytical method, to arrive at several results centered on the presence of the elements of communication as mentioned by (Jackson) clearly in Arabic grammar, where the importance of the speaker and the addressee is evident in building the linguistic message that the Arabic grammar scholars made their interest lie, and they made full use of communicative elements for their construction, and these elements were represented by them in four pillars (the message, the speaker, the addressee, and context of the case).

**Keywords:** communicative, Arabic grammar, Jacobson.

# ملامح التواصليّة في النحو العربيّ

**شفاء علي المقابلة**

**الملخص:** يربط هذا البحث بين النحو العربي، واللسانيات التواصليّة، فيتناول نماذج من النحو العربي؛ ليبيّن ملامح التواصليّة فيها بمفهومها الحديث عند (رومان جاكبسون)، ومدى تأثيرها في التفكير النحوي عند العرب، فيُظهر البحث أثر عناصر التواصلية (المرسل، والمستقبل، والرسالة اللغويّة، والمرجعيّة، والسنن (الشفرة والرامزة)) في إنتاج أحكام نحويّة وقواعديّة حينًا، وفي الاستعاضة عن أداءات لغويّة لفظيّة - من خلال الرامزة، والشفرة، والمرجعيّة المتمثّلة في السياق- حينًا آخر، ويُبرِز البحث أهميّة كلّ عنصر من عناصر التواصليّة في بناء الكلام في النحو العربيّ، وأثر ذلك العنصر في آراء النحاة التي استندوا إليها عند تقعيدهم اللغة، وإن لم يطرحوها في دراسات مستقلة أو مُخَصَّصة حينها، فناقش البحث نماذج من الشواهد النحوية، وفق المنهج الوصفي التحليلي؛ ليتوصل إلى عدة نتائج تتمحور حول وجود عناصر التواصلية كما وردت عند (جاكبسون) بوضوح في النحو العربي، حيث برزت أهميّة المتكلّم، والمخاطب في بناء الرسالة اللغوية التي جعلها علماء النحو العربيّ مكمن اهتمامهم، فسخروا عناصر التواصليّة كاملة لبنائها، وتمثلت تلك العناصر عندهم في ركائز أربعة (الرسالة، والمتكلّم والمخاطب، وسياق الحال).

**الكلمات المفتاحيّة:** التواصلية، النحو العربي، جاكبسون.

## المقدّمة:

تنبه اللغويون المحدثون على بعض النظريات التي وجدوا فيها ملامح تجمعها بالنحو العربي، كالتواصليّة، حيث تلتقي في بعض جوانبها مع ما جاء به علماء العربية القدماء, ولكنّها تختلف بلا شك في المنهج والتحليل، والتطبيق، وتحاول

الباحثة في هذا البحث الكشف عن بعض المؤشرات الممثلة للتواصليّة في النحو العربي، وتصنفها وفق عناصر التواصلية عند (رومان جاكبسون)، من خلال مناقشة كل عنصر من عناصر التواصليّة، وإبرازه في نماذج من النحو العربيّ، وذلك ما تعرضت إليه دراسات سابقة طرقت الموضوع نفسه بعناوين مختلفة مبرزة العناصر الرئيسة الثلاثة المرسل، والمستقبل، والرسالة اللغويّة، أو السياق في ضوء التداوليّة، أو علم اللغة الاجتماعيّ، كدراسة كمال بشر في أحد فصول كتابه "علم اللغة الاجتماعيّ"، ودراسة نهاد الموسى في بحثه "الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه"، وكتاب "الأسس الابستمولوجيّة والتداوليّة، للنظر النحوي عند سيبويه" لإدريس مقبول، و"استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغويّة تداولية" لعبد الهادي بن ظافر الشهري، و"الاستلزام الحواري في التداول اللسانيّ" للعياشي أدراوي، و "التداوليّة والحجاج، مداخل ونصوص" لصابر الحباشة، و"سياق الحال في كتاب سيبويه" دراسة في النحو والدلالة" لأسعد خلف العوادي، ورسالة ماجستير، "الأبعاد التداولية في شرح الكافية".

ومعظم الدّراسات التي جاءت في الخطاب التواصلي حديثًا ركزت على أهميّة المتكلّم، والمخاطب، وأثرهما في بناء الرسالة اللغويّة، مع الإشارة إلى وجود شذرات لذلك في النحو العربي، وتأتي هذه الدراسة في التواصليّة كما جاءت عند "رومان جاكبسون" تحديدًا، وحضورها في النحو العربيّ خاصةً.

**مشكلة الدراسة وأسئلتها:**

تنطلق الباحثة من العنوان الممثل لمشكلة الدراسة، الكائنة في السؤال الآتي، هل توجد ملامح التواصليّة بكل عناصرها الحديثة عند (جاكبسون) في النحو العربيّ؟ ويمكن صياغة مشكلة الدراسة في الأسئلة الآتية:

1- هل أهمل نحاة العربية التواصلية بمفهومها الجديد؟.
2- هل ما جاء عند النحويين من ألفاظ مثل: (الحال، أو الفائدة، المتكلم والمخاطب)، ما يشير إلى علاقة بما أطلق عليه المحدثون التواصلية؟.
3- وهل مثلت التواصلية عند نحاة العربية أحد أسس التقعيد النحوي؟.

**أهداف الدراسة:**

تهدف هذه الدراسة إلى:

1. إبراز عناصر التواصليّة في مواطن مختلفة من النحو العربي.
2. الإشارة إلى أسس التقعيد في النحو العربي من خلال عناصر التواصليّة.
3. إظهار الألفاظ التي تشير إلى الفائدة، والحال (السياق) وربطها بأحد عناصر التواصليّة.

**منهجية الدراسة:**

تتبع الباحثة المنهج الوصفي التحليلي في الدّراسة، وذلك برصد بعض الشواهد في النحو العربيّ ومناقشتها، وفق عناصر التواصليّة كما جاءت عند (رومان جاكبسون)، حيث تناقش الباحثة حضور كل عنصر من عناصر التواصليّة في النحو العربي على حدة مبرزة أثر ذلك في التقعيد عند النحاة، مستعينة ببعض المصادر والمراجع؛ لتتوصل إلى مجموعة من النتائج.

## عناصر التواصليّة عند (رومان جاكبسون) وحضورها في النحو العربي:

قبل البدء بمناقشة عناصر التواصلية عند (رومان جاكبسون)، وحضورها في النحو العربي، لابد من التطرق إلى تعريف تلك العناصر.

يقوم التواصل عند (جاكبسون) على ستة عناصر: المرسل (sender)، وهو الطرف الأول في عملية التخاطب، والمسؤول عن إرسال الرسالة اللغوية، واختيار المرجع وقناة الاتصال، والمرسل إليه (sent to)، وهو المستقبل لمضمون الرسالة اللغوية في عملية التخاطب، ويحمل جزءًا مهمًّا من عملية إنجاح الرسالة اللغوية، والرسالة (message)، وتمثل الخطاب بين المرسل والمستقبل، بما فيه من أفكار ومعلومات، تُنقل حسب قواعد وقوانين متفق عليها في النظام اللغوي، والمرجع (refrence)، ويمثل البيئة التي يحيل عليها الخطاب؛ أي ما يتحدث عنه طرفا التواصل، والقصد وموضوع الخطاب[1]، [وذلك يعني القصدية، والسياق وموضوع الخطاب]، وقناة التواصل (means of communication)، وهي تمثل الوسيلة التي تنقل الخطاب من قبل المرسل إلى المرسل إليه، مثل النور الذي يُعد وسيلة اتصال بصرية، والهواء، وهو وسيلة اتصال ينتقل عبرها الصوت، وآخر العناصر الرامزة (الشفرة) (gode)، وهي الوسيط الحامل لمضمون الرسالة اللغوية[2]، وتراه الباحثة متمثّلًا بالخطّ، أو الصّوت، أو الإشارة والإيماء، وهو الجزئية القابلة للتأويل عند المرسل إليه، ومن تلك العناصر تنطلق الباحثة في تحليل نماذج من الأمثلة الواردة في النحو العربي.

**حضور المرجع في النحو العربي:**

لم يغفل علماء العربية المرجع ( القصدية، والسياق، وموضوع الخطاب)، فتظهر القصديّة بوضوح في بناء قواعد النحو العربي، والمتمعن في كتب النحو العربي يجد كثيرًا من المؤشرات إلى القصد والهدف، ومن تلك الأمثلة على القصديّة: ما جاء في مغني اللبيب على لسان الواسطي في قضية تحديد المحذوف في مثل "صبرٌ جميلٌ" فيقول ابن هشام متسائلًا: "إذا دار الأمر بين كون المحذوف مبتدأ وكونه خبرًا فأيهما أولى؟، قال الواسطي: الأولى كون المحذوف المبتدأ، لأن الخبر محط الفائدة"[3]، وذلك مؤشر على أنّ الواسطي يُعْنى بتحقق القصديّة، فمن وجهة نظره الفائدة تتحقق في الخبر أكثر منها في المبتدأ، وعلى ذلك فالأولى بالحذف المبتدأ، والفائدة هنا هي المقام الذي لم يُحَل إليه مباشرة، كما جاء عند فيصل صفا حين بيّن أن هناك إشارات نحويّة لا تحيل إلى المقام مباشرة، وإنما تحيل إلى الفائدة، وقال عنها: "بعض الإشارات النحويّة المفسرة لبعض التراكيب النصيّة، قد خفيت فيها حقيقة الإحالة على مقام، وقد ظهر مثل هذا في الإشارات التي أحالت على مقام أطلق عليه النحاة (الفائدة)"[4]، فالمقام يقتضي أن يكون المحذوف المبتدأ؛ لأن المتلقّي ينتظر من المخاطب ما تحصل به الفائدة، والفائدة مكمنها الخبر فالأَوْلى أن يكون ظاهرًا لتتحقق الفائدة.

ومن منظور آخر للقارئ في كتب التراث أن يتساءل عن معاني الأدوات، والحروف التي ناقشها نحاة العربية بما تناسب مع الفهم الإدراكي للأداءات اللغويّة على لسان أبنائها، وكيف راعوا القصديّة وتحقيق الهدف فتنوّعت الأدوات، وتنوعت استخداماتها وفق مقتضيات الهدف والقصد، الذي يرمي إليه المتكلم كما في الفرق بين "إن"، و"إذا" الشرطيتين": فالأُولى "إن" تدخل على ما يشك في حصوله, والثانية "إذا" تدخل على ما هو محقق الحصول, فإن قلت (إن جئت أكرمك) فأنت شاك في مجيئه, وإن قلت (إذا جئت أكرمتك, فأنت على يقين من مجيئه)"[5]، يقول ابن يعيش: ""إن"

(1) انظر القضماني، رضوان، نظرية التواصل، المفهوم والمصطلح، ، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية ، مج (29)، العدد (1) ،2007، ص142-143.

(2) جاكبسون، رومان، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1968م، ص27، وانظر القضماني، رضوان، نظرية التواصل، المفهوم والمصطلح، ص142-143.

(3) ابن هشام، مغني اللبيب, تحقيق, مازن المبارك ومحمد علي حمد الله, دار الفكر, بيروت,2005، ص574.

(4) صفا، فيصل، نحو النص في النحو العربي، مجلس النشر العلمي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد92، 2005، ص96.

(5) الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية, ج2, تعليق وتصحيح فتح الله سليمان, دار الأمل, إربد: الأردن, د ت, , ص150.

في الجزاء مبهمة لا تُستَعمل إلا في ما كان مشكوكًا في وجوده؛ ولذلك كان بالأفعال المستقبلة؛ لأن الأفعال المستقبلة قد توجد, وقد لا توجد"[6]، وعلى ذلك كان للتقعيد المتعلّق بـ "إن" و"إذا" ارتباط بالتواصلية، وتوظيفهما يأتي بما يحقق الفائدة، والقصد المنشود من الرسالة اللغويّة.

فعلى المرسل أن ينتقي من ضمن تلك الأدوات ما يناسب قصده، فيُضمنه رسالته اللغويّة، وعلى المُستقبِل أن يتلقّى تلك الأدوات بتحليل ذهنيّ بما يتوافق مع وظائفها الدلاليّة، فمثّلت الأداتان (إن وإذا) استراتيجيتين للخطاب وتوصيل الرسالة اللغويّة، فقد وصف عبد الهادي الشهري استراتيجية الخطاب، بأنها الطريقة التي توصل مقاصد المرسل وتعين على إدارة الحديث[7]، وقد طرحها من وجهة نظر (فوكو) بأنها معانٍ متعددة، يتناسب كل معنى منها مع سياق معين، فيستخلص الشهري من معانيها عند (فوكو) خصائص عامة لها، "وهي أنها عمل عقلي، مبني على افتراضات مسبقة، وتتجسد من خلال أدوات ووسائل تناسب سياق استعمالها"[8]، وهو ما لمحناه في توظيف الأداتين "إن وإذا" في النحو العربيّ بوصف كل منهما استراتيجيّة خطاب مناسبة لسياقها (المرجع عند جاكبسون)، فلكل أداة من أدوات اللغة العربيّة سياقها، ومسوّغات استعمالها، وإن تشابهت تلك الأدوات في الوظيفة التركيبيّة.

وفي موضع آخر يكون سياق الحال - وهو من متضمنات المرجع عند جاكبسون - عاملًا حاسمًا في دلالات ثلاث لتركيب واحد، كما وضحها نهاد الموسى عند سيبويه، في تركيب "ما أتاك رجل"، فقد جاء عند سيبويه : "أتاني رجل" يريد واحدًا في العدد لا اثنين، فيُقال "ما أتاك رجل" أي أتاك أكثر من ذلك، أو يقول أتاني رجل لا امرأة" فيُقال "ما أتاك رجل" أي "امرأة أتتك" ويقول: أتاني اليوم رجل" في قوته ونفاذه، فتقول "وما أتاك رجل" أي أتاك الضعفاء"[9]، وتحديد المعنى المراد من بين المعاني الثلاث، يعتمد على سياق الحال الذي بدوره يكشف لبس العبارة المتعلق بالبناء الصرفي والمعجميّ للفظ الرجل، ويحدد المقصود باستخدام لفظ رجل، فهي مرة تحمل معنى الإفراد وعدم التثنية، أو الجمع، ومرة تحمل معنى الجنس أي جاء ذكر وليس أنثى، وهي كذلك قد تحمل معنى القوة، والشجاعة، والجرأة، فيكون السياق المقامي فيصلًا في أمن اللبس المتعلق بالقصديّة، والسّياق هو المحرّض الإدراكي؛ للفصل بين المعاني الثلاثة، فهو المشترك بين المتكلّم، والمخاطَب بما يتيح للأول بناء أداء لغويّ، لا يعتمد فيه على الكلمات فقط في توصيل القصد وتحقيق الهدف، ويُتيح للثاني التأويل الصحيح للألفاظ المحدودة، والوصول إلى القصد والفائدة من الرسالة اللغويّة، وبذلك فإنّ سيبويه "لا ينفك عن تفسير ظواهر اللغة وأحكامها وبيان عللها، في سياقاتها الحالية وظروفها المقالية؛ مما يدل أيضا على أنه يتعامل مع لغة حيّة يشاهد متكلّميها، ويقف عن استعمالها"[10].

**حضور (قناة الاتصال والرامزة) في النحو العربي:**

هناك علاقة واضحة بين قناة الاتصال، والرامزة التي تجسد الرسالة اللغوية، حيث لا يمكن للرامزة حمل مضمون الرسالة اللغوية إن لم تمر بقناة الاتصال المناسبة؛ مما يجعل الباحثة تصنفهما في خانة واحدة، ضمن

---

(6) ابن يعيش, يعيش بن علي، شرح المفصل ج9, عالم الكتب, بيروت, د. ت, ص4

(7) انظر، الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغويّة تداوليّة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004 ص ix

(8) الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب، ص55.

(9) الموسى، نهاد، بحث الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه، 16ورقة بحثية في اللغة العربية على سيبويه، مطبوعات جامعة شيراز، بجهد أحمد أفشار شيراز، 5-7 مايو، ص321. https://wadod.org/vb/showthread.php?t=10790 وانظر سيبويه، الكتاب، ج1، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م ص55.

(10) العوادي، أسعد خلف، سياق الحال في كتاب سيبويه، دراسة في النحو والدلالة، دار الحامد للنشر، عمان- الأردن، ط1، 2011م، ص196.

تصنيفات الإشارات اللغوية المتعلقة بملامح التواصليّة في النحو العربيّ، وفي ما طرقه كمال بشر من أدلة على اهتمام العرب القدماء بنظرية السياق، يظهر للباحثة ما يُشير إلى الرامزة، وقناة الاتصال, فيذكر كمال بشر نصًا لابن هشام في معنى الكلام في اللغة، يقول فيه: "الكلام ما تحصل به الفائدة, سواء كان لفظا [الصوت] أو خطا [العلامة] أو إشارة [المعنى مجردًا من اللفظ والعلامة], أو ما نطق به لسان الحال"[(11)]، وهنا نلمح ثلاث قنوات اتصال: الضوء الذي لا تتم الرؤية إلا بوجوده، فيروي ابن جني عن بعض مشايخه قوله: "أنا لا أحسن أن أكلّم إنسانا في الظلمة"[(12)]، وقناة اتصال أخرى في الانتقال الفيزيائي عبر الهواء للمنطوق أو الملفوظ؛ ليصل إلى أذن المتلقي، وقناة اتصال ثالثة خطية.

ولعل صورة مفهومي قناتي الاتصال النور والهواء، تتضح أكثر في وقوع الحال دليلًا على الصفة المحذوفة عند ابن جني حيث يقول: "وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها, وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل, وهم يريدون: ليل طويل, وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها, وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح, والتفخيم, والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك ... وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق [ويقصد إن ذممت إنسانا] قلت: سألناه وكان إنسانًا, وتزوي وجهك وتقطبه, فيغني ذلك عن قولك: إنسانا لئيمًا ... فعلى هذا وما يجري مجراه تحذف الصفة"[(13)].

فتلك المؤشرات الدالة على الصفة المحذوفة ارتبطت بقناة اتصال متعلقة بالسمع، حيث انتقال الرسالة الصوتية المرتبطة بالنبر، والتنغيم بمستوياته صعودًا وهبوطًا عبر الهواء، أو عبر صورة ترسمها العين لما هو في نور واضح، كصورة الوجه الذي ينزوي ليعبر عن صفات الموصوف غير الظاهر لفظًا، والذي تدل عليه سياقات الحال التي أشار إليها ابن جني، والمرتبط وجودها بالرامزة، وقناة الاتصال، فاللفظ إن كان رامزة يمكن لنا نقله خطًّا، وليس نطقًا أما تلك المؤشرات من التنغيم والنبر الذي يمثل رامزة، والصورة المعبرة للوجه، والإشارة الجسدية، والإيماء، لا يمكن نقلها إلا من خلال قناتي الاتصال الهواء والضوء، لتقوم مقام الصفة المحذوفة أو تغني عنها كما ذكر ابن جني.

وقد جعل سيبويه الحواس الخمسة (البصر والسمع والشم واللمس والتذوّق) وسيلة اتصال تنقل المعلومة المفقودة للمخاطب، بل وبنى على وجود قناة الاتصال تلك حكما نحويًّا بجواز حذف المبتدأ، فكانت قناة الاتّصال موحّدة مع الرامزة الممثلة للمعلومة المفقودة عند المخاطب، فالمحذوف تمثّل بريح أو ملمس أو صورة مشابهة أو صوت أو مذاق ما، أو فكرة ينقلها وسيط عن شخص ما بوصفه، فاعتمدها سيبويه في قاعدة نحويّة بجواز حذف المبتدأ وهو المسند إليه، فيقول: "هذا باب يكون المبتدأ فيه مضمرًا, ويكون المبني عليه مظهرًا, وذلك أنك رأيت صورة شخص, فصار آية لك على معرفة الشخص فقلت: عبد الله وربي. كأنك قلت: ذاك عبد الله أو هذا عبد الله, أو سمعت صوتًا فعرفت صاحب الصوت, فصار آيةً لك على معرفته فقلت: "زيد وربي, أو مسست جسدًا, أو شممت ريحًا فقلت: زيد أو المسك, أو ذقت طعامًا فقلت: "العسل, ولو حُدثت عن شمائل رجل, فصار آيةً لك على معرفته لقلت: عبد الله كأن رجلًا قال: مررت برجل

(11) انظر، بشر، كمال، علم اللغة الاجتماعي, دار غريب للنشر، القاهرة, 1995ص98, وانظر، ابن جني، الخصائص, ج1، تحقيق محمد علي النجار, دار الكتاب العربي, بيروت, 1952 , ص 247, وانظر، ابن هشام، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب, تحقيق, محمد محيي الدين عبد الحميد, دار الكوخ للطباعة والنشر، طهران- إيران ،1383هـ, ط1، ص53.

(12) ابن جني، الخصائص,ج1، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصريّة، القاهرة، 1952، ص247.

(13) ابن جني، الخصائص, ج2, ص371.

راحم للمسكين بار بوالديه, فقلت: فلان والله"[14]، فنرى سيبويه يوظف الحواس الخمسة، والفكرة المسبقة عن شخص ما في الذهن بوصفها جميعًا، قنوات اتّصال تسد مسد المبتدأ، فتسوّغ حذفه لفظًا وخطًّا[15].

**حضور الرسالة اللغوية في النحو العربي:**

تُسخَّر الرسالة اللغوية بكل أجزائها(الألفاظ والتراكيب) لتحقيق القصدية والفائدة، وبذلك هي تأخذ اهتمامًا بينًا في التقعيد وبناء التراكيب من حيث سلامة التركيب والمعنى، وبناء التوافق بين اختصار التركيب أو توسعته، ووصول الهدف والقصدية إلى المخاطب، وبناء على ذلك عُني النحو العربي بوضوح الرسالة اللغوية، ويظهر ذلك عند الاستراباذي, في شرحه كافية ابن الحاجب, في أكثر من موضع، ومنها تفسيره لرأي جمهور العلماء, في عدم جواز أن يكون النعت أخص من المنعوت, فيقول في ذلك: "وإنما لم يجز أن يكون النعت أخص من المنعوت؛ لأن الحكمة تقتضي أن يبدأ المتكلم بما هو أخص, فإن اكتفى المخاطب فذاك, ولم يحتج إلى نعت, وإلا زاد عليه من النعت ما يزاد به المخاطب معرفة"[16]، وذلك يدلل على عناية النحاة بالرسالة اللغوية، ومدى وضوحها بالنسبة للمخاطب، فإن لم تصل الرسالة بوضوح إلى المتلقي عندها نلجأ للنعت, فمن أهم شروط الرسالة اللغويّة الوضوح؛ حتى لا تشكل للمتلقّي غموضًا أو لبسًا، فالمنطق أن المتكلم يبدأ بالأخص, فإن لم يتحقق الهدف من الرسالة, يلجأ إلى التوسعة، فكان حكم الاستراباذي على النعت وخصوصيته، مستندًا إلى مدى وضوح الرسالة اللغوية، وما تحمله من ألفاظ كافية تغني عن التوسعة، وإلا فلابد من التوسعة، حيث نلحظ أنّ الاستراباذي يأخذ بمبدأ الكم عند "غرايس"، فقاعدة الكم عنده، وكما بينها العياشي أدراوي تعني "حدًّا دلاليًّا القصد منه الحيلولة دون أن يزيد أو يُنقِص المحاورون عن مقدار الفائدة المطلوبة"[17].

والقاعدة العامة التي تحكم تركيب الجملة كما جاء عند مصطفى حميدة : أنّ كلَّ علاقة تزيد على علاقة الإسناد إنّما يُنشئها المتكلّم؛ للبيان وإزالة إبهام وغموض، قد يعتريان المعنى الدّلاليّ للجملة إن لم يُنشئ المتكلّم تلك العلاقة، "وكل حذف لعلاقة إنّما يكون حين لا يحتاج المعنى الدلاليّ إلى دلالة تلك العلاقة، وهذا كله خاضع لسياق المقام وغرض المتكلّم"[18]، ويأتي ذلك في الحال كما جاء في النعت، فالحال في النحو العربيّ: "وصف يؤتى به لبيان هيئة صاحبه حين وقع الفعل غالبًا نحو: "قابلت والدتك مسرورةً" فمسرورة هي الحال، ووالدتك هي صاحبة الحال، و"قابل" هو عامل الحال"[19]،ويقول السهيلي في الحال: "الحال هي صاحب الحال في المعنى، وكذلك النعت والتوكيد، والبدل، وكلّ واحد من هذه، هو الاسم الأول في المعنى"[20]، فإن كان صاحب الحال أو المنعوت، أو المبدل منه هو الاسم الأول في المعنى، فأنت تكرر بلا طائل في النعت، أو الحال، أو البدل، إلّا إن كان التكرار لفائدة، وهي الفائدة المتمثلة بإزالة الإبهام، والغموض في

(14)سيبويه, الكتاب، ج2, ص130, وانظر سياق الحال في كتاب سيبويه, أسعد خلف العوادي, دار الحامد, عمان, 2010, ص100 .

(15) ، انظر، العوادي، أسعد خلف، سياق الحال في كتاب سيبويه، دراسة في النحو والدلالة، ص100، وانظر مقبول، إدريس الأسس الإبستمولوجيّة والتداوليّة للنظر النحويّ عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، 2007، ص321- 325

(16) الأستراباذي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، القسم الأول، مج1، دراسة وتحقيق حسن الحفظي، دار الثقافة والنشر في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1993م، ص999.

(17) أدراوي، العياشي، الاستلزام الحواري في التداول اللسانيّ، منشورات الاختلاف، الرباط – الجزائر، 2011، ص99

(18) حميدة، مصطفى، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربيّة، الشركة المصريّة العالميّة للنشر- لونجمان، القاهرة، 1997م، ص162

(19) الأفغاني، سعيد، الموجز في قواعد اللغة العربيّة، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، 2003، ص292.

(20) السهيلي، عبد الرحمن بن عبدالله، نتائج الفكر في النحو، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، دار الكتب العلميّة، بيروت،ط1، 1992م، ص297

الرسالة اللغويّة لدى المتلقّي، فما يُزاد به المخاطب معرفة، هو ما يزول به إبهام الرسالة اللغويّة، وتتضح من خلاله الرؤية، وهو المتمثّل في النعت، أو البدل، أو الحال، حيث يلجأ المتكلّم لها جميعا حين يريد التوسعة أو إزالة الإبهام.

وكان الاهتمام بالرسالة اللغوية لافتًا، حتى أن النحاة لم يهملوا عنصر التشويق فيها، فيشير الأستراباذي إلى حذف الفعل وجوبًا في قوله تعالى "وإنْ أحدٌ مِنَ المُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ" [6:التوبة]، فيقول في ذلك: "والغرض من الإبهام ثم التفسير إحداث وقع في النفوس لذلك المبهم، لأن النفوس تتشوق، إذا سمعت المبهم، إلى العلم بالمقصود منه، وأيضا في ذكر الشيء مرتين، - مبهمًا ثم مفسرًا - توكيد ليس في ذكره مرة، وإنما لم يُحكم بكون "أحد" مبتدأ، واستجارك خبره لعلمهم بالاستقراء باختصاص حرف الشرط بالفعلية"[21]، ونلمح هنا عناية الاستراباذي بتحقق صفة التشويق في الرسالة اللغوية من خلال حذف الفعل فـ"إن" الشرطية عند جمهور العلماء مختصة بالدخول على الأفعال، ودخولها على الاسم في الآية الكريمة جعل العلماء يلجؤون إلى التقدير بحذف الفعل، ويفسر الأستراباذي ذلك بالتشويق، فالحذف يُحدث وقعًا في النُّفوس، إضافة إلى التأكيد للفعل بذكره مرتين مرة محذوفًا بتقدير ذهني، ومرة مذكورًا بعد الاسم، ويظهر ذلك بتعليقه على كلام الأخفش حيث يقول: "على أنه نُسب إلى الأخفش جواز وقوع الاسمية بعدها [أي بعد "إن"] بشرط كون الخبر فعلًا، فمثالنا على مذهبه إذن، ليس من قبيل ما نحن فيه"[22]، فقوله "ليس من قبيل ما نحن فيه"، يعني ليس من قبيل ما يحقق القصديّة، والهدف من خلال إثارة عنصر التشويق في نفس المخاطب، وبذلك يكون الأخفش قد أهمل القصديّة من حيث التأثير في المتلقي بإثارة عنصر التشويق.

**حضور المرسل إليه (المخاطب) في النحو العربي:**

اهتم نحاة العربية بالمرسل إليه أو المخاطب، فحتى تكون عملية التواصل ناجحة مثمرة لابد للرسالة اللغوية أن توصل القصد إلى المخاطب، وتحقق الهدف بنجاح، تقول خلود العموش: "إن موقف الكلام عند النحاة يأتلف على هيئة مخصوصة، تصبح فيصلًا في تحديد الصواب والخطأ، متجاوزين المعيار الشكلي"[23]، ومن هذا القبيل عدم جواز أن يكون المخاطب مشارًا إليه ومشارًا له في آن معًا، رغم صحة التركيب، ويناقش نهاد الموسى منع سيبويه قول القائل: هذا أنت، وهو يعلل ذلك بأنك لا تشير للمخاطب إلى نفسه، ولا تحتاج إلى ذلك، وإنما تشير له إلى غيره "، ويتابع نهاد الموسى بقوله: "وهو يستمد هذا التحليل من تحليل موقف الإشارة، فقد لاحظ أنه يقوم في الموضوعات المألوفة على جهات ثلاث: المتكلم (المشير)، والمشار إليه، والمخاطب (المشار له)، ولاحظ أن المخاطب، جهة لازمت هذه الجهات، ولكنه جهة واحدة، فلا يجوز أن يكون المخاطب مشارًا إليه ومشارا له معا"[24].

ولم يعنَ النحاة بوضوح دور المخاطب في الرسالة اللغوية فقط، بل اعتمدوا على عقلية المخاطب، وذكائه في قبول بعض التراكيب سماعًا لا قياسًا، فقد احترم النحو العربي عقل المخاطب وقدراته الذهنية، وذلك يظهر في عبارتهم " عند أمن اللبس "، ففيما أشار إليه التركيب الشائع عند النحاة "خرق الثوبُ المسمارَ" يقول ابن عقيل: "وقد يُرفع

(21) الأستراباذي، شرح الكافية ، مج1، ص219-220

(22) الأستراباذي، شرح الكافية، مج1، ص219-220

(23) العموش، خلود دور السياق في نظرية النحو العربي، الجامعة الهاشمية، بحث مقدم إلى مؤتمر"مناهج التجديد في العلوم الإسلامية والعربية" جامعة المنيا، كلية دار العلوم، 2005، ص44.

(24) انظر، الموسى، نهاد، بحث الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه، 16ورقة بحثية في اللغة العربية على سيبويه، ص323. وانظر سيبويه، الكتاب،ج1، ، ص141.

المفعول ويُنصبُ الفاعل عند أمن اللبس، كقولهم: "خرق الثوبُ المسمارَ" ولا ينقاس ذلك، بل يُقتصر فيه على السماع"[25].

على الرغم من عدم قواعدية التركيب برفع المفعول، ونصب الفاعل، لم يُرَدّ ذلك الأداء اللغويّ في الاستعمال مشروطًا بأمن اللبس، و"أمن اللبس" الذي يسوغ ما خالف القاعدة في جملة كهذه يعتمد المنطق والعقل، لأن التركيب بعلاماته الإعرابية مُلبس، والحكم على صحّة الرسالة اللغوية يصدره المخاطَب، وهنا يأتي دور المنطق والعقل، فليس من المنطقي أن يخرق الثوب المسمار على فاعلية الثوب، ومفعولية المسمار، فالمخاطَب وهو المحلل لمضمون الرسالة، وهو الذي يحكم بصحتها، عليه أن يختار بين مضمونين أحدهما ينسجم مع المنطق، ولا ينسجم مع العلامة الإعرابية والترتيب، والآخر مضمون لا ينسجم مع المنطق، وينسجم مع العلامة الإعرابية والترتيب، وبفطنته اللغويّة، والعقليّة يقدم المنطقيّ، والعقلانيّ على العلامة الإعرابية، والترتيب، وذلك يتطلب منه أن يكون على علم بمضمون الرسالة اللغوية من حيث معاني مفرداتها اللغوية، ومصطلحاتها، وهو ما يستند على ثقافة لغوية مشتركة بينه وبين المرسل، تجعله قادرًا على الموافقة بين التركيب المنطوق والمنطقيّ المعقول، وكما يرى صابر الحباشة، فـ "لعل النظر في مقترحات اللسانيات الحديثة في تمثيل الأقوال، يوقفنا على عودة الوئام بين المستويين المنطقي والتركيبيّ، في تقاسم الأدوار عند تحليل الجمل، فالمستوى السطحي يشتمل على البنية الصوتية، أما المستوى العميق فيتكون من البنية الدلاليّة، وبذلك لا يمكن تخليص العلامة اللسانيّة من دالّها أو مدلولها؛ فهما متلازمان تلازم الوجه والقفا"[26]

والقصد أن المرسل إليه (المُخاطَب) ركيزة في قبول أو رفض تركيب لغوي؛ بناء على تحليله المنطقي والعقلاني الذي بدوره يدحض اللبس، ويُقرّ ما يخالف القاعدة، والقياس استعمالًا، أو لا يقره فيرفض مضمون الرسالة؛ لنقص الثقافة المشتركة بينه وبين المُرسِل، ونقص معرفته باللغة ومصطلحاتها(الدال والمدلول)، أو لضعف في قدرته العقليّة على التحليل المنطقيّ.

**حضور المرسل (المتكلم) في النحو العربي:**

لم يغفل سيبويه، أهمية المتكلم ومراعاة حاله، فيناقش نهاد الموسى العمقين الدلاليين للفعل "رأى" عند سيبويه، حيث "رأى" الممثلة للإبصار الحسيّ، تتعدى إلى مفعول واحد، و"رأى" الممثلة للعلم الضمني وتتعدى إلى مفعولين، لكن ذلك يتحقق عند المتكلم المبصر، أما المتكلم الأعمى فليس له إلا اختيار الفعل الثاني المتعدي إلى مفعولين، فيقول "رأيت الرجل الصالح"، على أنّ "رأى" بمعنى علم أو عرف، ويقول سيبويه في ذلك "وإن قلت رأيت فأردت رؤية العين، أو وجدت فأردت وجدان الضالة، فهو بمنزلة ضربت، ولكنك إنما تريد بوجدت علمت، وبرأيت ذلك أيضًا، ألا ترى أنه يجوز للأعمى أن يقول رأيت زيدا الصالح ..."[27]، ويعلق نهاد الموسى على ذلك: "ويكون هذا الفرق قائمًا على حقيقة خارجية، وإلا فإن اللغة في نظامها الداخليّ الذاتي لا تقيم هذا الفرق، ولا تقول في هذا الموضع بجواز ومنع"[28]، فتلك الحقيقة الخارجيّة هي حقيقة المتكلّم الذي يفقد البصر، فلا يُقبل منه إلا تركيب يتناسب مع حقيقة الرؤية المعنويّة لا الحقيقيّة.

فالجملة كما وصفها محمد أبو موسى, "فكرة إما متسقة؛ فنقول: إن الجملة صواب, وإما متناقضة، فنقول: إن الجملة خطأ, والصواب والخطأ في الأمور اللغوية "عند التحقيق صواب في

(25) ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك, ج2، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد, مكتبة دار التراث, القاهرة, 1998، ص147.

(26) الحباشة، صابر، التداوليّة والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق- سورية، ط1، 2008م، ص113.

(27) سيبويه، الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، ج1، ص40

(28) انظر، الموسى، نهاد، بحث الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه، 16ورقة بحثية في اللغة العربية على سيبويه، ص326.

الإدراك وخطأ فيه"[29], فذلك يعني أن الصواب والخطأ اللغوي يخضع أولًا للمنطقية الذهنية التي تتأتى بالإدراك, فما انسجم مع المنطق من اللغة فهو صواب, وما تناقض معه فهو خطأ، ولذلك رأى المتعديّة إلى مفعول واحد يوظفها الأعمى بمعنى رأى القلبيّة كما ورد عند سيبويه، متجاوزًا نظام اللغة، وهنا يأتي دور المتكلم، فيختار من التراكيب ليس الصحيح المنسجم مع نظام اللغة فقط، وإنما الصحيح المنسجم مع نظام اللغة والعقل والمنطق، والحقائق الكونية، فالرؤية مرفوضة من المتكلّم الأعمى على معناها الحقيقيّ، وإن كانت مقبولة على معناها المجازيّ.

واهتم النحو العربيّ أيضًا باختيار الأسلوب اللافت من المتكلّم، بما يجعل المتلقي يقبل عليه مستمعًا ومتجاوبًا مع ما سمع، وذلك ما عناه ابن جني في نصه حيث يقول: "أولا تعلم أنّ الإنسان إذا عناه أمر فأراد أن يخاطب به صاحبه، وينعم تصويره له في نفسه استعطفه ليُقبل عليه؛ فيقول له: يا فلان، أين أنت، أرني وجهك، أقبل عليّ أحدّثك، أما أنت حاضر يا هناه، فإذا أقبل عليه، وأصغى إليه، اندفع يُحدّثه أو يأمره أو ينهاه، فلو كان استماع الأذن مغنيًا عن مقابلة العين مجزئا عنه, لما تكلف القائل, ولا كلف صاحبه الإقبال عليه والإصغاء إليه ... وعلى ذلك قالوا: رب إشارة أبلغ من عبارة""[30]، وفي نص ابن جني يبرز دور المتكلّم (القائل) جليّا في اختيار الأسلوب الذي يعمد إليه؛ ليلفت نظر المخاطَب (الصاحب)، ويشد انتباهه ثم يلقي إليه الرسالة المنشودة، فيخاطبه بأسلوب النداء "يا فلان" ثم الاستفهام "أين أنت"، ثم أمر الالتماس "أرني وجهك، أقبل عليّ أحدّثك"، وبذلك ينساق إليه المخاطب بكل حواسه كالبصر، والالتفات، والتركيز معه، ثم يقر حضوره بجملة إخباريّة مذيلة بنداء "أنت حاضر يا هناه"، فأمام ذلك التلوين في الأساليب لا يجد المخاطب نفسه إلّا مضطرًا للانتباه بكل جوارحه لتلقي الرسالة اللغويّة، فيقول: "فإذا أقبل عليه، وأصغى إليه، اندفع يحدّثه أو يأمره أو ينهاه"، أي انطلق بلقي إليه رسالته اللغويّة أيًّا كانت، واثقًا من تفاعله واستجابته للرسالة.

**الخلاصة:**

على ما تقدّم نلحظ عناصر التواصليّة بوضوح جليّ في نماذج متفرقة من النحو العربيّ، وفي كل نموذج نجد التركيز عند النحاة ينحاز لأحد تلك العناصر التي بمجملها جاءت مسخرة لخدمة الرسالة اللغويّة ووضوحها؛ لتحقيق الهدف والقصد، ولمّا ارتكز الخطاب اللغوي في ثلاثة أطراف المرسل والمستقبل، والرسالة اللغويّة، وجدنا أنّ تلك العناصر في النحو العربيّ تحتاج دعامات لها تتمركز في الشفرة والرامزة والمرجعيّة، لا يمكن الاستغناء عنها، بل وهي التي تحكم في كثير من الأحيان بالتدخل بالحذف أو الزيادة في الرسالة اللغويّة، وبناء على ذلك توصلت الباحثة إلى عدّة نتائج تطرحها في الخاتمة.

## الخاتمة:

من طرح عدد من الأمثلة، وتحليلها في مواطن متعددة من النحو العربي، والتي ذُكِرت فيها عناصر التواصلية عند (رومان جاكبسون)، يتبيّن للباحثة ما يأتي:

1- تبرز ملامح التواصلية في كتب النحو العربي، ولكنّها قد تخفى بين طيات أبواب متناثر في كتب النحو المختلفة، فالتراث النحوي ليس مفتقدًا التواصلية بمفهومها الحديث، وإن كان لم يطرقها مباشرة وبالتخصيص.

2- التواصلية بعناصرها المختلفة عند (رومان جاكبسون)، (مرسل ومرسل إليه، ورسالة لغوية ومرجع وقناة اتصال، ورامزة) كانت من أسس بناء النحو العربي، وتقعيده، إذ يتضح ذلك في تسويغات النحاة، وتحليلاتهم لكثير من التراكيب، كقولهم: الأَوْلى بالحذف المبتدأ؛ لأن الخبر فيه الفائدة.

---

(29) أبو موسى، محمد محمد، دلالات التراكيب, مكتبة وهبة, القاهرة, 2004, ص 179.

(30) ابن جني، الخصائص، ج1، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصريّة، القاهرة، 1952، ص247.

3- تظهر بعض المصطلحات التي تتضمن في معناها بعض عناصر التواصلية بوضوح كمصطلح (المخاطب (المرسل إليه)، والمتكلم (المرسل)، والفائدة والحال (المرجعية).

4- اتكأ النحو العربيّ على قدرات المخاطَب (المرسل إليه)) العقلية في قبول تراكيب، أو رفضها ضمن الاستعمال، وإن كانت خارج نطاق المعياريّة، والقياس كقبول تعبير "خرق الثوب المسمار" استعمالًا لا قياسًا.

5- الرسالة اللغوية هي المحور الرئيس في اهتمام نحاة العربيّة، فهي الوعاء الناقل للفكر المتبادل بين المتكلم والمخاطب، لذلك جاءت باقي عناصر التواصليّة مسخرة لخدمة الرسالة اللغويّة.

6- يُضمِّن المتكلّم (المُرسِل) الرسالة اللّغوية القصدية والهدف فيختار من الأساليب ما يلفت انتباه المخاطب ويجذبه لتلقّي الرسالة.

7- المخاطَب (المرسل إليه) له الأثر الأكبر في تحليل الرسالة اللغويّة، والوصول إلى مضمونها غير الملفوظ (القصديّة) عند المرسل.

8- للمتكلّم (المُرسِل) أن يستعيض في كثير من الأحيان بالسياق، أو الرامزة، أو قناة الاتصال عن الأداء اللغويّ اللفظي، أو الأداء اللغوي الخطي، كما في الإشارة، أو الشم، أو اللمس، أو الرؤية، حيث تسد تلك العناصر مسد المحذوف في بعض التراكيب.

## قائمة المصادروالمراجع:


1- ابن جني، الخصائص, ج1، تحقيق محمد علي النجار, دار الكتاب العربي, بيروت, 1952م.

2- ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك, ج2، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد, مكتبة دار التراث, القاهرة, 1998

3- ابن هشام، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب, تحقيق, محمد محيي الدين عبد الحميد, دار الفكر, د م, 1902م.

4- ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب, تحقيق, مازن المبارك ومحمد علي حمد الله, دار الفكر, بيروت,2005م.

5- ابن يعيش, يعيش بن علي، شرح المفصل ج9, عالم الكتب, بيروت, د. ت.

6- أبو موسى، محمد محمد، دلالات التراكيب, مكتبة وهبة, القاهرة, 2004م، https://wadod.org/vb/showthread.php?t=10790

7- أدراوي، العياشي، الاستلزام الحواري في التداول اللسانيّ، منشورات الاختلاف، الرباط – الجزائر، 2011م.

8- الأستراباذي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، القسم الأول، مج1، دراسة وتحقيق حسن الحفظي، دار الثقافة والنشر في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1993م.

9- الأفغاني، سعيد، الموجز في قواعد اللغة العربيّة، دار الفكر، بيروت، لبنان، د. ط، 2003.

10- بشر، كمال، علم اللغة الاجتماعي, دار غريب للنشر، القاهرة, 1995م.

11- جاكبسون، رومان، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1968م.

12- الحباشة، صابر، التداوليّة والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق- سورية، ط1، 2008م.

13- حميدة، مصطفى، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربيّة، الشركة المصريّة العالميّة للنشر- لونجمان، القاهرة، 1997م

14- السهيلي، عبد الرحمن بن عبدالله، نتائج الفكر في النحو، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، دار الكتب العلميّة، بيروت،ط1، 1992م.
15- سيبويه، الكتاب، ج1، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م.
16- الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004م.
17- صفا، فيصل، نحو النص في النحو العربي، مجلس النشر العلمي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مج 23، ع92، 2005م، ص79-110.
18- العموش، خلود، دور السياق في نظرية النحو العربي، الجامعة الهاشمية، بحث مقدم إلى مؤتمر "مناهج التجديد في العلوم الإسلامية والعربية" جامعة المنيا، كلية دار العلوم، 2005م، https://eis.hu.edu.jo/deanshipfiles/conf101231954.pdf
19- العوادي، أسعد خلف، سياق الحال في كتاب سيبويه، دراسة في النحو والدلالة، دار الحامد للنشر، عمان- الأردن، ط1، 2011م.
20- الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية, ج2, تعليق وتصحيح فتح الله سليمان, دار الأمل, إربد: الأردن, د ت.
21- القضماني، رضوان، نظرية التواصل، المفهوم والمصطلح، ، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية ، مج (29)، العدد (1) ، ص138-2007،149م.
22- مقبول، إدريس، الأسس الإبستمولوجيّة والتداوليّة للنظر النحويّ عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، 2007
23- الموسى، نهاد، الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه، 16ورقة بحثية في اللغة العربية على سيبويه، مطبوعات جامعة شيراز، بجهد أحمد أفشار شيراز، د. ت.